

## سورة الطور

وهي مكية كلها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَالطُّورِ \* وَكُتِبَ مُسْطُورًا \* فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ \* وَ لَبَّيْتَ لَمَعْمُورٍ \* وَالسَّفِّ لَمَرْفُوعٍ \* وَ لَبَّحْرٍ \* لَمَسْجُورٍ \* إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ \* مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ \* يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا \* وَتَسِيرُ لِحِبَالٍ سَيْرًا \* فَيَوْمَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ \* لَذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ \* يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى تَارِحَتِهِمْ دَعَاً \* هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ \* أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ \* طَلُوهَا وَ هُيْرًا أَوْ لَا تَصِيرُوا سَوَاءً عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }

قوله تعالى: {وَالطُّورِ} هذا قسم بالجبل الذي كلم الله عز وجل عليه موسى عليه السلام، وهو بأرض مدين وإسمه زبير.

{وَكُتِبَ مُسْطُورًا} أي: مكتوب، وفي أربعة أقوال:

أحدها: أنه اللوح المحفوظ، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: كتب أعمال بني آدم، قاله مقاتل والزجاج.

والثالث: التوراة.

والرابع: «القرآن» حكاهما الماوردي.

قوله تعالى: {فِي رَقٍّ} قال أبو عبيدة: الرق: الورق. فأما المنشور فهو المبسوط.

قوله تعالى: {وَ لَبَّيْتَ لَمَعْمُورٍ} فيه قولان:

أحدهما: أنه بيت في السماء. وفي أي سماء هو؟ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه في السماء السابعة. رواه أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم. وحديث مالك بن صعصعة الذي أخرج في «الصحيحين» يدل عليه.

والثاني: أنه في السماء السادسة، قاله علي رضي الله عنه.

والثالث: أنه في السماء الدنيا، رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال ابن عباس: هو حبال الكعبة يحججه كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون فيه حتى تقوم الساعة، يسمى الضراح.

وقال الربيع بن أنس: كان البيت المعمور مكان الكعبة في زمان آدم، فلما كان زمن نوح أمر الناس بحججه، فعصوه، فلما طغى الماء رفع فجعل بحذاء البيت في السماء الدنيا.

والثاني: أنه البيت الحرام، قاله الحسن. وقال أبو عبيدة: ومعنى: «المعمور» الكثير الغاشية.

قوله تعالى: {وَالسَّفِّ لَمَرْفُوعٍ} فيه قولان:

أحدهما: أنه السماء، قاله علي رضي الله عنه والجمهور.

والثاني:

العرش، قاله الربيع.

قوله تعالى: {وَ لَبَّحْرٍ} فيه قولان:

أحدهما: أنه بحر تحت العرش ماؤه غليظ يمطر العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحاً فينبتون في قبوهم، قاله علي رضي الله عنه.

والثاني: أنه بحر الأرض، ذكره الماوردي.

وفي {لَمَسْجُورٍ} أربعة أقوال:

أحدها: المملوء، قاله الحسن، وأبو صالح، وابن السائب، وجميع اللغويين.

والثاني: أنه الموقد، قاله مجاهد، وابن زيد. وقال شمر بن عطية: هو بمنزلة التنور المسجور.

والثالث: أنه اليابس الذي قد ذهب ماؤه ونضب، قاله أبو العالية. وروي عن الحسن قال: تسجر، يعني البحار، حتى يذهب ماؤها، فلا يبقى فيها قطرة. وقول هذين يرجع إلى معنى قول مجاهد. وقد نقل في الحديث أن الله تعالى يجعل البحار كلها نارا، فتزاد في نار جهنم.

والرابع: أن «المسجور» المختلط عذبه بملحه، قاله الربيع بن أنس. فأقسم الله تعالى بهذه الأشياء للتنبية على ما فيها من عظيم قدرته على أن تعذيب المشركين حق، فقال: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ}

أي: لكائن في الآخرة. ثم بين متى يقع، فقال: {يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا} وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: تدور دوراً «رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وهو اختيار الفراء وابن قتيبة

والزجاج.

والثاني: تحرك تحركاً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة. وقال أبو عبيدة «تمور»

أي: تكفأ، وقال الأعشى:

كان مشيتها من بيت جارتها مرو السحابة لا ريث ولا عجل

والثالث: يموج بعضها في بعض لأمر الله تعالى، قاله الضحاك. وما بعد هذا قد سبق بيانه [النمل: 88] إلى قوله: { لِيَذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ } أي: يخوضون في حديث محمد صلى الله عليه وسلم بالكذب والاستهزاء، ويلهون بذكره، فالويل لهم.

{ وَيَوْمَ يَدْعُونَ } قال ابن قتيبة: أي: يدفعون، يقال: دعته أدعه، أي: دفعته، ومنه قوله { يَدْعُ لِيَتِيمَ } [الماعون: 2] قال ابن عباس: يدفع في أعناقهم حتى يردوا النار. وقال مقاتل: تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعون إلى جهنم على وجوههم، حتى إذا دنوا منها قالت لهم خزنتها: { هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ } في الدنيا { أَقْسَحُ هَذَا } العذاب الذي ترون؟ فإنكم زعمتم أن الرسل سحرة { أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ } النار؟ فلما ألقوا فيها قال لهم خزنتها: { طَلَوْهَا }. وقال غيره: لما نسبوا محمد صلى الله عليه وسلم إلى أنه ساحر يغطي على الأبصار بالسحر، وبخوا عند رؤية النار بهذا التوبيخ، وقيل: { طَلَوْهَا } أي: قاسوا شدتها { وَطَّيَّرُوا } على العذاب { أَوْ لَا تَصِيرُوا سَوَاءَ عَلَيْكُمْ } الصبر والجزع { إِنَّمَا تُجْرُونَ } جزاء { مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } من الكفر والتكذيب.

{ إِنَّ لِمُتَّقِينَ فِي جَنَّةٍ وَعَنِيمٍ \* فَكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ \* كُلُوا وَشَرِبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَرَوَّجَتْهُم بِحُورٍ عِينٍ }  
ثم وصف ما للمؤمنين بما بعد هذا، وقوله: { فَكِهِينَ } قرئت بألف وبغير ألف، وقد شرحناها في [يس: 55] ووقاهم أي صرف عنهم والجحيم مذكور في [البقرة: 119].

{ كُلُوا } أي: يقال لهم: كلوا { وَشَرِبُوا هَنِيئًا } تأمنون حدوث المرض عنه. قال الزجاج: المعنى: ليهنكم ما صرتم إليه، وقد شرحنا هذا في سورة [النساء: 4] ثم ذكر حالهم عند أكلهم وشربهم فقال: { مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ } وقال ابن جرير: فيه محذوف تقديره: على نمارق على سرر، وهي جمع سرير { مَّصْفُوفَةٍ } قد وضع بعضها إلى جنب بعض وباقي الآية مفسر في سورة [الدخان: 54].  
{ وَ لِيَذِينَ ءَامَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلٌّ فِي رِجْلٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ \* وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِكِهَيْفٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ \* يَتَرَعَّوْنَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْنُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ \* وَبَطُونٌ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ \* وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ \* قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ مِن أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ \* فَمَنْ أَلَّهْنَا عَلَيْنَا وَوَقَّاتَنَا عَذَابَ السَّمُومِ \* إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ }

قوله تعالى: { وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ } قرأ ابن كثير وعاصم، وحمزة، والكسائي: «واتبعتهم» بالتاء «ذريتهم» واحدة { أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ } واحدة أيضا. وقرأ نافع: «واتبعتهم ذريتهم» واحد «بهم ذرياتهم» جمعا وقرأ ابن عامر «واتبعناهم ذرياتهم» «بهم ذرياتهم» جمعا في الموضعين. واختلفوا في تفسيرها على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناها: واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألقنا بهم ذرياتهم من المؤمنين في الجنة، وإن كانوا لم يبلغوا أعمال آبائهم، تكرمة من الله تعالى لأبائهم المؤمنين باجتماع أولادهم معهم، روى هذا المعنى سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والثاني: واتبعتهم ذريتهم بإيمان، أي بلغت أن آمنت، ألقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان. وروى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. ومعنى هذا القول: أن أولادهم الكبار تبعوهم بإيمان منهم، وأولادهم الصغار تبعوهم بإيمان الآباء، لأن الولد يحكم له بالإسلام تبعاً لوالده.

والثالث: «واتبعناهم ذرياتهم» بإيمان الآباء فأدخلناهم الجنة، وهذا مروى عن ابن عباس أيضا. قوله تعالى: { وَمَا أَلَتْنَاهُمْ } قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي: «وما ألتناهم» بالهمزة وفتح اللام وقرأ ابن كثير: «وما ألتناهم» بكسر اللام وروى ابن شنيوذ عن قنبل عنه «وما ألتناهم» بإسقاط الهمزة مع كسر اللام. وقرأ أبو العالية، وأبو نهيك، ومعاذ القاريء بإسقاط الهمزة مع فتح اللام وقرأ ابن السميغ «وما ألتناهم» بمد الهمزة وفتحها وقرأ الضحاك،

والثالث: «واتبعناهم ذرياتهم» بإيمان الآباء فأدخلناهم الجنة، وهذا مروى عن ابن عباس أيضا. وقوله تعالى: { وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ } قال ابن عباس: يتذاكرون ما كانوا فيه في الدنيا من الخوف والتعب، وهو قوله: { قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا } أي: في دار الدنيا { مُشْفِقِينَ } أي: خائفين من العذاب، { فَمَنْ أَلَّهْنَا عَلَيْنَا } بالمغفرة { وَوَقَّاتَنَا عَذَابَ السَّمُومِ } أي: عذاب النار، وقال الحسن: السموم من أسماء جهنم. وقال غيره: سموم: جهنم. وهو ما يوجد من نفعها وحرها،

{إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ} أي: نوحده ونخلص له {إِنَّهُ هُوَ لَبِئْرٌ} وقرأ نافع، والكسائي: «أنه» بفتح الهمزة. وفي معنى «البر» ثلاثة أقوال:

أحدها: الصادق فيما وعد، رواه أبو صالح عن ابن عباس.  
والثاني: اللطيف، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: العطوف على عباده المحسن إليهم الذي عم ببره جميع خلقه، قاله أبو سليمان الخطابي.  
{فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ} \* {أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَرَبَّصُّ بِهِ رَبِّتَ لِمَنْوَنٍ} \* {قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِّنْ لِّمُتَرَبِّصِينَ} \* {أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ} \* {أَمْ يَقُولُونَ تَقَوْلُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ} \* {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ}

قوله تعالى: {فَذَكَرْ} أي: فعط بالقرآن {فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ} أي: بإنعامه عليك بالنبوة {بِكَهِنٍ} وهو الذي يوهم أنه يعلم الغيب ويخبر عما في غد من غير وحي. والمعنى: إنما تنطق بالوحي لا كما يقول فيك كفار مكة.

{أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ} أي: هو شاعر. وقال أبو عبيدة: «أم» بمعنى «بل» قال الأخطل:  
كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا

لم يستفهم، إنما أوجب أنه رأي.

قوله تعالى: {تَتَرَبَّصُّ بِهِ رَبِّتَ لِمَنْوَنٍ} فيه قولان:  
أحدهما: أنه الموت، قاله ابن عباس.

والثاني: حوادث الدهر، قاله مجاهد، قال ابن قتيبة: حوادث الدهر وأوجاعه ومصائبه، و«المنون» الدهر، قال أبو ذؤيب:

أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

هكذا أنشدناه أصحاب الأصمعي عنه، وكان يذهب إلى أن المنون الدهر، قال وقوله «والدهر ليس بمعتب» يدل على ذلك، كأنه قال: «أمن الدهر وريبه تتوجع؟» قال الكسائي: العرب تقول: لا أكلمك آخر المنون، أي: آخر الدهر.

قوله تعالى: {قُلْ تَرَبَّصُوا} أي: انتظروا بي ذلك {فَأِنِّي مَعَكُمْ مِّنْ لِّمُتَرَبِّصِينَ} أي: من المنتظرين عذابكم، فعذبوا يوم بدر بالسيف. وبعض المفسرين يقول: هذا منسوخ بأية السيف، ولا يصح، إذ لا

تصاد بين الآيتين.

قوله تعالى: {أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا} قال المفسرون: كانت عظماء قريش توصف بالأحلام، وهي العقول، فازرى الله بحلومهم، إذ لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل. وقيل لعمر بن العاص: ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله تعالى بالعقول؟ فقال: تلك عقول كادها بارئها، أي: لم يصحبها التوفيق.

وفي قوله: «أم تأمرهم» وقوله: {أَمْ هُمْ} قولان:

أحدهما: أنهما بمعنى «بل» قاله أبو عبيدة.

والثاني: بمعنى ألف الاستفهام، قاله الزجاج؛ قال: والمعنى: تأمرهم أحلامهم بترك القبول ممن يدعوهم إلى التوحيد وبآتيهم على ذلك بالدلائل، أم يكفرون طغيانا وقد ظهر لهم الحق؟ وقال ابن قتيبة: المعنى: أم تدلهم عقولهم على هذا؟ لأن الحلم يكون بالعقل، فكني عنه به.

قوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ تَقَوْلُهُ} أي: افتعل القرآن من تلقاء نفسه؟ والتقول: تكلف القول، ولا يستعمل إلا في الكذب {بَل} أي: ليس الأمر كما زعموا {لَا يُؤْمِنُونَ} بالقرآن، استكبارا.

{فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ} في نظمه وحسن بيانه. وقرأ أبو رجاء، وأبو نهيك، ومورق العجلي، وعاصم الجحدري: «بحديث مثله» بغير تنوين {إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ} أن محمداً تقوله.

{أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ لَخَلِقُونَ} \* {أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ} \* {أَمْ عِنْدَهُمْ جَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ لِمُسِيئَتِهِمْ} \* {أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ} \* {أَمْ لَهُ

لَبَنٌ وَلَكُمْ لَبَنُونَ} \* {أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّنْ مَّعْرَمٍ مَّنْقَلُونَ} \* {أَمْ عِنْدَهُمْ لَعِينٌ فَهُمْ يَكْتُمُونَ} \* {أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَلْيُذِينَ كَفَرُوا هُمْ لِمَكِيدُونَ} \* {أَمْ لَهُمْ آلَةٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ}

قوله تعالى: {أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ} فيه أربعة أقوال:

أحدها: أم خلقوا من غير رب خالق؟

والثاني: أم خلقوا من غير آباء ولا أمهات، فهم كالجماد لا يعقلون؟

والثالث: أم خلقوا من غير شيء كالسماوات والأرض؟ أي: إنهم ليسوا بأشد خلقا من السماوات والأرض، لأنها خلقت من غير شيء وهم خلقوا من آدم، وادم من تراب.  
والرابع: أم خلقوا لغير شيء؟ فتكون «من» بمعنى اللام. والمعنى: ما خلقوا عبثا فلا يؤمرون ولا ينهون.

قوله تعالى: { أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ } فلذلك لا يأترون ولا ينتهون؟ لأن الخالق لا يؤمر ولا ينهى.  
قوله تعالى: { يَلْ لَّا يُوقِنُونَ } بالحق، وهو توحيد الله وقدرته على البعث.  
قوله تعالى: { أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ } فيه ثلاثة أقوال:  
أحدها: المطر والرزق، قاله ابن عباس.

والثاني: النبوة، قاله عكرمة.

والثالث: علم ما يكون من الغيب، ذكره الثعلبي. وقال الزجاج: المعنى: أعندهم ما في خرائن ربك من العلم، وقيل: من الرزق، فهم معرضون عن ربهم لاستغنائهم؟

قوله تعالى: { أَمْ هُمْ } قرأ ابن كثير: «المسيطر» بالسين. وقال ابن عباس: المسلطون. قال أبو عبيدة: «المسيطر» الأرباب. يقال: تسيطر علي، أي: اتخذتني خولا، قال: ولم يأت في كلام العرب اسم على «مفيعل» إلا خمسة أسماء: مهيم، ومجيمر، ومسيطر، ومبيطر، ومبيقر، فالمهيم: الله الناظر المحصي الذي لا يفوته شيء، ومجيمر: جبل؛ والمسيطر: المسلط؛ ومبيطر: يبطر؛ والمبيقر: الذي يخرج من أرض إلى أرض، يقال: ييقر: إذا خرج من بلد إلى بلد، قال امرؤ القيس:

ألا هل أتاها والحوادث جمه بأن امرأ القيس بن تملك ييقر؟

قال الزجاج: المسيطرون: الأرباب المسلطون، يقال: قد تسيطر علينا وتصيطر: بالسين والصاد، والأصل السين، وكل سين بعدها طاء، فيجوز أن تقلب صاد، تقول: سطر واطر، وسطا علينا واطا. قال المفسرون: معنى الكلام: أم هم الأرباب فيفعلون ما شاؤوا ولا يكونون تحت أمر ولا نهى؟

قوله تعالى: { لِمُسَيِّطِرُونَ أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ } أي: مرقى ومصعد إلى السماء { يَسْتَمِعُونَ فِيهِ } أي: عليه الوحي، كقوله: { فِي جُدُوعٍ لَّنَحْلٍ } [طه: 71] فالمعنى يستمعون الوحي فيعلمون أن ما هم عليه حق { فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ } إن ادعى ذلك { يَسْلُطِينَ مُبِينٍ } أي: بحجة واضحة كما أتى محمد بحجة على قوله.

{ أَمْ لَهُ لَيْتٌ وَلَكُمُ لُبْتُونَ } هذا إنكار عليهم حين جعلوا لله البنات.

{ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّن مَّعْرَمٍ مَُّنْقَلُونَ } أي: هل سألتهم أجرا على ما جئت به، فأثقلهم ذلك الذي تطلبه منهم فمنعهم عن الإسلام؟ والمعرم بمعنى الغرم وقد شرحناه في [براءة: 98].  
قوله تعالى: { أَمْ عِنْدَهُمْ لَعِينٌ } هذا جواب لقولهم: «تتربص به رب المنون»؛ والمعنى: أعندهم الغيب؟ وفيه قولان:

أحدهما: أنه اللوح المحفوظ، { فَهُمْ يَكْتُبُونَ } ما فيه ويخبرون الناس. قاله ابن عباس.

والثاني: أعندهم علم الغيب فيعلمون أن محمدا يموت قبلهم { فَهُمْ يَكْتُبُونَ } أي: يحكمون فيقولون سنقهرك. والكتاب: الحكم؛ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سأقضي بينكما بكتاب الله» أي: بحكم الله عز وجل؛ وإلى هذا المعنى: ذهب ابن قتيبة.

قوله تعالى: { أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا } وهو ما كانوا عزموا عليه في دار الندوة؛ وقد شرحنا ذلك في قوله: «وإذ يمكر بك الذين كفروا» [الأنفال: 30] ومعنى { هُمْ لِمَكِيدُونَ } هم المجزيون بكيدهم، لأن ضرر ذلك عاد عليهم فقتلوا بدير وغيرها.

{ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ } أي: ألهم إله يرزقهم ويحفظهم غير الله؟ والمعنى أن الأصنام ليست بآلهة، لأنها لا تنفع ولا تدفع. ثم نزه نفسه عن شركهم بباقي الآية.

{ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ \* قَدَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ \* يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ سَبِيًّا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ \* وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِن أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ \* وَ طَهِّرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ \* وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ }

ثم ذكر عنادهم فقال: { وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا } والمعنى: لو سقط بعض السماء عليهم لما انتهوا عن كفرهم، ولقالوا: هذه قطعة من السحاب قدركم بعضه على بعض.

{قَدَرَهُمْ} {أَي خَل عَنْهُمْ} {حَتَّى يَلْقُوا} {قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ «يَلْقُوا» بَفَتْحِ الْيَاءِ وَالْقَافِ وَسُكُونِ اللَّامِ مِنْ غَيْرِ أَلْفٍ {يَوْمَهُمْ} {وَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ يَوْمُ مَوْتِهِمْ.

وَالثَّانِي: يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

وَالثَّلَاثُ: يَوْمُ النَّفْخَةِ الْأُولَى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُضَعَّفُونَ} قَرَأَ عَاصِمٌ، وَابْنُ عَامِرٍ: «يُضَعَّفُونَ» بِرَفْعِ الْيَاءِ، مِنْ أَضْعَفَهُمْ غَيْرَهُمْ؛

وَالْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا، مِنْ صَعَقَهُمْ.

وَفِي قَوْلِهِ: {يُضَعَّفُونَ} قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: يَمُوتُونَ.

وَالثَّانِي: يَغْشَى عَلَيْهِمْ، كَقَوْلِهِ: {وَحَرَّ مَوْسَى صَعِقًا} [الأعراف: 143] وَهَذَا يُخْرَجُ عَلَى قَوْلٍ مِنْ

قَالَ: هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّهُمْ يَغْشَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَهْوَالِ. وَذَكَرَ الْمَفْسُرُونَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ

السَّيْفِ، وَلَا يَصِحُّ، لِأَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ الْوَعِيدَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} هَذَا الْيَوْمُ الْأَوَّلُ؛ وَالْمَعْنَى: لَا يَنْفَعُهُمْ مَكْرَهُمْ وَلَا يَدْفَعُ

عَنْهُمْ الْعَذَابَ {وَلَا لَهُمْ يُنْصَرُونَ} أَي: يَمْنَعُونَ مِنَ الْعَذَابِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا} أَي: أَشْرَكُوا {عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ} أَي: قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ؛ وَفِيهِ أَرْبَعَةٌ

أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ عَذَابُ الْقَبْرِ، قَالَ الْبَرَاءُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: عَذَابُ الْقَتْلِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا، وَبِهِ قَالَ مِقَاتِلُ.

وَالثَّلَاثُ: مَصَائِبُهُمْ فِي الدُّنْيَا، قَالَ الْحَسَنُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَالرَّابِعُ: عَذَابُ الْجُوعِ، قَالَ مُجَاهِدٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} أَي: لَا يَعْلَمُونَ مَا هُوَ نَازِلٌ بِهِمْ.

{وَوَطَّئِرُ لِحُكْمِ رَبِّكَ} أَي:

لَمَا يَحْكُمُ بِهِ عَلَيْكَ {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} قَالَ الزَّجَّاجُ: فَإِنَّكَ بِحَيْثُ نَرَاكَ وَنَحْفَظُكَ وَنُرْعَاكَ، فَلَا يَصِلُونَ إِلَى

مَكْرُوهِكَ. وَذَكَرَ الْمَفْسُرُونَ: أَنَّ مَعْنَى الصَّبْرِ نَسْخُ بَآيَةِ السَّيْفِ، وَلَا يَصِحُّ لِأَنَّهُ لَا تَضَادَ.

{وَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ} فِيهِ سِتَّةُ أَقْوَالٍ.

أَحَدُهَا: صَلِّ لِلَّهِ حِينَ تَقُومُ مِنْ مَنَامِكَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: قُلْ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ حِينَ تَقُومُ مِنْ مَجْلِسِكَ، قَالَ عَطَاءٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ، وَمُجَاهِدٌ

فِي آخِرِينَ.

وَالثَّلَاثُ: قُلْ «سُبْحَانَكَ اللَّهُ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» حِينَ تَقُومُ فِي

الصَّلَاةِ، قَالَ الضَّحَّاكُ.

وَالرَّابِعُ: سَبِّحِ اللَّهَ إِذَا قَمْتَ مِنْ نَوْمِكَ، قَالَ حَسَانُ بْنُ عَطِيَّةٍ.

وَالخَامِسُ: صَلِّ صَلَاةَ الظُّهْرِ إِذَا قَمْتَ مِنْ نَوْمِ الْقَائِلَةِ، قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ.

وَالسَّادِسُ: اذْكُرِ اللَّهَ بِلِسَانِكَ حِينَ تَقُومُ مِنْ فَرَاشِكَ إِلَى أَنْ تَدْخُلَ فِي الصَّلَاةِ، قَالَ ابْنُ السَّائِبِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ أَيْلٍ قَسَبْحُهُ} قَالَ مِقَاتِلُ: صَلِّ الْمَغْرِبَ وَصَلِّ الْعِشَاءَ {وَإِدْبَارَ النُّجُومِ} قَرَأَ زَيْدٌ

عَنْ يَعْقُوبَ، وَهَارُونَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو، وَالْجَعْفِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ: «وَأِدْبَارَ النُّجُومِ» بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ؛ وَقَرَأَ

الْبَاقُونَ بِكَسْرِهَا وَقَدْ شَرَحْنَاهَا فِي [ق: 40] وَالْمَعْنَى: صَلِّ لَهُ فِي إِدْبَارِ النُّجُومِ، أَي: حِينَ تَدْبُرُ، أَي:

تَغِيبُ بَضْوَاءَ الصُّبْحِ. وَفِي هَذِهِ الصَّلَاةِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا الرُّكْعَتَانِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، رَوَاهُ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا صَلَاةُ الْغَدَاةِ، قَالَ الضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ.